الحياة الثقافية والاجتماعية " للطُّلْبة المسافرين" بالغرب الجزائري

The Cultural And Social Life Of "Itinerant Students" In Western Algeria

المؤلف: د. بلحاج جلول، لغة ودراسات قرآنية، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، 013000، تلمسان، الجزائر.

Author: Dr. Djalloul BELHADJ, Language and Quranic studies, Faculty of Arts and Languages, Abi Bakr Belkaid University, 013000, Tlemcen, Algeria.

ORCID ID: https://orcid.org/0000-0003-2875-1183

Djelloulogbi46@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/03/02 تاريخ القبول: 2020/03/04 تاريخ النشر: 2020/05/11

لتوثيق هذا المقال:

بلحاج جلول، الحياة الثقافية والاجتماعية " للطُّلْبة المسافرين" بالغرب الجزائري، **مجلة التراث**، العدد 01، المجلد العاشر، أبريل 2020، ص301، ص316.

TO CITE THIS ARTICLE:

Djalloul BELHADJ, The Cultural And Social Life Of "Itinerant Students" In Western Algeria, **AL TURATH Journal**, issue 01, volume 10, April 2020, p301, p316.

Open Access Available On:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

المؤلف المرسل: بلحاج جلول ، **الإيميل** Djelloulogbi46@hotmail.com

Sender Author Djalloul BELHADJ, **e-mail**: Djelloulogbi46@hotmail.com

The Cultural And Social Life Of "Itinerant Students" In Western Algeria

ملخص

إن تقليد " **الطُّلْبة المسافرين**" الذي يقوم على الانقطاع إلى الإقامة بالمساجد لغرض حفظ القرآن الكريم أساسا، يشكل موروثا قديما بالمغرب الإسلامي، حيث يشرف شيخ متمكن علميا إلى حدّ ما، وله قبول اجتماعي على التحفيظ بالتلقين، وتوفير أسباب المعيشة بمساعدة أهل الحي بالمدينة أو الدوار...ويتم الحفظ عبر طرق تقليدية في الوسائل والمناهج جميعا أساسها الحفظ بإتقان والتكرار باستمرار. ولم تشذ الجزائر وخصوصا الجهة الغربية منها عن هذا التقليد. ويحدث أن ينتقل الطلبة إلى مساجد أخرى حيث تتحسن الظروف المعيشية غالبا، ويكون التواصل الثقافي والاجتماعي بين الطلبة وغيرهم من أفراد المجتمع محدودا، رغم تواجد المسافرين في العديد من المناسبات الاجتماعية والتطوع للعمل بالمساجد، لكونهم أغرابا عن أهل القرية والحي، ويقوم عامل الحذر بدور كبير في تحديد عمق العلاقة المذكورة. كما يكون الرصيد الثقافي في الغالب محدودا أيضا تبعا لكفاءة الشريخ المعرفية، وغلبة بيئة الأمية المتوراثة وإلى عهد قريب.

وفي الأزمنة المتأخرة أصبح " **الطلبة المسافرين**" يحرصون على التكوين بالمعاهد العلمية؛ لغرض التوظيف بالمساجد لتعليم القرآن والإمامة في الصلاة...ويساهم المجتمع الجزائري بالدور الكبير في في القيام على توفير أسباب المعيشة عن طريق التبرع للشيخ أو الاتصال بالطلْبة رأسا. وبذلك تتكامل الأدوار.

الكلمات المفتاحية: " الطلبة المسافرين"، القرآن، المسجد، الحفظ، ظاهرة، الشيخ، المجتمع.

Summary

The tradition of "traveling students", which is based on the interruption of residence in the mosques for the purpose of memorizing the Holy Quran, is an old heritage here especially in the West of Algeria and in general in Morocco, where an educated sheikh supervises and has a social acceptance to memorize and provide the living conditions of the inhabitants of the city. Or rotor ... Conservation through traditional methods in the means and methods are all based on the conservation of mastery and repetition constantly. Students are moved to other mosques, where living conditions often improve, and communication between students and others is limited, despite the presence of travelers on many social occasions and volunteering to work in the mosques, because they are more attractive than the people of the village and the neighborhood.

In later times, "traveling students" became keen on training in scientific institutes for the purpose of employment in mosques to teach the Koran and prayer ... Algerian society plays a major role in providing for the causes of living by donating to the Sheikh or contacting students directly.

Keywords: "traveling students", Quran, mosque, conservation, phenomenon, Sheikh, community.

مقدمة

ظل تواجد "**الطلبة المسافرين** " بمساجد المغرب الإسلامي، بما فيه الغرب الجزائري مستمرا، ومنذ قرون وفي تاريخ لا يمكن تحديده بدقة، ورغم تبدل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية عموما إلا أنه لا يزال تواجدهم يشكل ظاهرة ثقافية/ اجتماعية معا، زيادة على مضمونها الديني. وإن دراسة هذه الظاهرة مهمٌّ من جانب معرفي؛ لكون نشاطهم يرتبط بمصدر ديني هو القرآن الكريم، ونشاط اجتماعي هو تغطية المناسبات الاجتماعية الكثيرة والمتكررة، إضافة إلى تعليم الصغار الحروف وكثير من سور القرآن، وربما يتمُّ ختم القرآن على أيديهم في كثير من المرات.

ونظرا لخصوصية مناهج التحفيظ والتعليم من جهة الوسائل التقليدية، والإقامة الجماعية، وتفاعل كثير من أفراد المجتمع مع وجود واستمرار الظاهرة، فإن دراستها لا تزال ضيقة ومحدودة، وتشتكي من قلة المراجع، ويظل الأساس هو الثقافة الشفهية المتداولة، إضافة إلى التجربة الشخصية، وما يتيحه القيام بتقصي تفاصيل الظاهرة من موضوعها وهو " الطلبة المسافرين " وشيوخهم.

– **أهمية الموضوع:** إن موضوع " **الطلبة المسافرين** " هام من وجوه عديدة: دينية لارتباطه بالقرآن والمسجد، وأخرى كنشاط مرتبط بالمناسبات والحاجات الاجتماعية كالجنائز والرقية...، وثالثة كظاهرة ثقافية ظل دورها الكبير يتناقص بفعل انتشار التعليم المدني خصوصا، وضعف الإقبال عموما سواء من جهة الشيوخ أو الطلبة لثقل المسؤولية أساسا وتعقيدات الإجراءات الأمنية والإدارية.

ومن هنا يستوجب التأريخ الثقافي للظواهر الدينية إخضاع المسألة للبحث الواسع والمتنوع؛ بغرض الوقوف على عوامل نشأتها، ومكوناتها وأدوارها الاجتماعية والثقافية... وأسباب وجودها واندثارها في أمكنة دون أخرى.

– إشكالية الموضوع: بالرغم من قدم ظاهرة الطلبة المسافرين بالمغرب الإسلامي والغرب الجزائري خصوصا، واتساع نشاطاتهم الاجتماعية، والدينية إلا أن مقادير من الغموض وهوامش الخصوصيات تكتنف الظاهرة، مما يحتم الوقوف على جملة محددات كالسؤال عن الخلفيات الدينية والثقافية للظاهرة، وبحث أساليب التواصل الاجتماعي...وسؤال عن طبيعتها، وتناسبها مع الأدوار الدينية والإجتماعية المنوطة بها.

– **أهداف الموضوع:** ولأجل أن يكون البحث مفيدا وهو كذلك يحسن أن نحدد له بعض الأهداف، والتي منها:

– الوقوف على بعض أنماط التعليم ومدى نجاعتها كمكوّن ثقافي.

– الدور الاجتماعي لحفظة القرآن الكريم باعتبارهم شخصيات دينية نافذة خصوصا في الأزمنة الماضية.

– تقييم بعض أدوارهم التي توصف بالسلبية والتي تكون محلّ انتقاد من غيرهم.

– **منهج البحث:** نظرا لكون الظاهرة في صميمها شعبية، فإني أعتمد أساسا العرض والوصف، مع التركيز على تحليل خلفياتها الثقافية. إن البحث لا تتوفر بخصوصه المراجع الكثيرة، رغم اتساع وجود الظاهرة، وإمكان تناولها بالدراسة؛ فإن الاعتماد على الاتصال بالطلبة المسافرين وشيوخهم – موضوع البحث – والتجربة الشخصية يبدوان فرصا مفيدة للباحث، ويسمح ذلك في نهاية التحليل بمراكمة الإنتاج المعرفي، والتأريخ للظواهر الاجتماعية ذات الطابع الديني والثقافي، خصوصا وأن الحياة الاجتماعية **للطلبة السافرين** ظلت من قبيل الخصوصيات على ما سنبينه لاحقا.

ونشير هنا إلى أن وسائل الاتصال الاجتماعي سمحت في الفترات الأخيرة بفرص الظهور ولو بشكل محتشم لهذه الظاهرة مما يعطي كما مقبولا مبدئيا للباحث، ويعين نسبيا على تفسير الظاهرة وتوقع آفاقها.

– **تمهيد:** كثيرة هي الظواهر الاجتماعية ذات الطابع الديني أو الثقافي التي تأخر التأريخ لها بالمجتمع الجزائري، وقد صدقت مقولة ابن خلدون إلى حد كبير من : أن أهل المغرب لا اعتناء لهم بالتأريخ لأنفسهم. وأقول إلى حد كبير؛ لأن بعض التراث المسجل سواء كان مخطوطا أو مطبوعا قد تناول شيئا من ذلك يقلّ ويكثر حسب طبيعة الموضوع وجهد الباحث.

إن البحوث الأكاديمية كتبا ومقالاتٍ قد أسهمت وبشكل واضح في إثراء وإغناء هذا التأريخ المطلوب. وأحبُّ أن أسجل هنا أن ظاهرة " **الطلبة المسافرين**" ظلت قليلة الحظ من هذا الكم المتزايد مؤخرا في البحث الأكاديمي للحياة الثقافية بالغرب الجزائري، والتي لا تزال مستمرة ويمكن تدراك الأمر، واستدراك النقص المسجل رغم صبغة الخصوصية والحرص على هامش الغموض، والطبيعة الذكورية لمجتمع " **الطلبة المسافرين**"، وكونه بالمساجد والأماكن الملحقة بها، وكون الطلبة أنفسهم وإلى عهد قريب قليلي الثقافة، ولا قدرة لهم على التأريخ لأنفسهم على فرض وجود الاهتمام كما هي عبارة ابن خلدون.

ولكن مقادير جيدة من هذه الفئة تيسر لها في العقدين الأخيرين استكمال تعليمها الجامعي، وهو أمر يؤهلها للقيام بالدور الثقافي المطلوب خصوصا، وقد ألموا بمناهج البحث العلمي، وهم ملزمون بتقديم بحوث تخرج وغيرها تشكل أرضية رصد وتحليل ثقافيين.

وإن هذا المقال على محدوديته يحرص دون توسع كبير على تناول الموضوع، وتجلية بعض مكوناته وطبيعة الفئة المستهدفة من جهة الدرجة الاجتماعية، ومستويات العمر والثقافة، ومدى تجاوب المجتمع قديما وحديثا مع الإشارة إلى دور الجهات الرسمية في اتساع ذلك أو محدوديته، وطبيعة النشاطات الثقافية والاجتماعية.

تحديد المفاهيم

– **مفهوم " الطلْبة المسافرين ":** يقصد من مصطلح " **الطلْبة المسافرين**" أولئك الأشخاص الذكور الذين غالبا ما تكون أعمارهم متقاربة، يقيمون بالمسجد أو ما يلحق به من الأقسام والمدارس بغرض حفظ القرآن لمدة من الزمان تقصر أو تطول، ويقوم على ذلك شيخ حافظ بل ومتقن أو مقدم الطلبة " **لمـقَدَّمْ**".ويتولى أهل الحي أو القرية غالبا النفقة عليهم.

ومما يشترط في هذا المفهوم الإنقطاع التام للإقامة بالمسجد أو المدرسة الملحقة به، للغرض المذكور وهو ما يحتم بالتالي أن يكون الطلبة – في الغالب – أغرابا عن الحي أو الدوار أو القرية، بحيث لو فرضنا أن أحد الطلبة كان من أهل القرية ويزاول الحفظ معهم لم يكن مندرجا تحت هذا التحديد لفقد شرط السفر.. وتنطبق هذه التسمية على العدد القليل والكثير، المدة القصيرة أو الطويلة بالقرية أو الحي بالمدينة الكبيرة. ومن خلال التعريف تتحدد العناصر التالية: الشيخ، و " الطلبة المسافرين "، وسكان القرية أو الحي. وأتناول فيما يلي ذلك بشيء من التفصيل:

تحديد مكان الإقامة

يقيم الطالب المسافر بالمسجد أو ببعض الأقسام والهياكل الملحقة به، في مجموعات تزيد أو تنقص، كما قد تطول الإقامة المذكورة أو أو تقصر، ولا يسمح للطالب بذلك إلا إذا أذن له الشيخ مهما كان هناك شيخ للطلبة، بعد أن يتأكد من رغبته في ذلك.

ويحدث أن يشترط الشيخ على " الطالب المسافر " شروطا يشتد فيها الشيخ أو يتساهل حسب طبيعة شخصية الشيخ وظروف المدرسة، وربما أعطاه توجيهات ومن ثم تهديدات بالتسريح عند عدم الالتزام. وإذا لم يكن ثمة شيخ يقوم مقدم الطلبة " **لمقدم**" بقبول الطالب على نفس الصفة، وقد يدعو " الطالب " غيرَه لسابق المعرفة إلى الإلتحاق بهم فيتم الأمر بسهولة.

ولا يقيم الطالب إلا بحساباته الخاصة هو أيضا كأن تكون الظروف المعيشية جيدة أو مقبولة على الأقل، وأن يكون ثمة شيخ متقن وطلبة يسبقونه في مقادير الحفظ ليتم الانتفاع بهم، كما قد لا يروقه المقام إذا لم ير للطلبة همة في كثرة التكرار للمحفوظات أو عدم وجود دروس نحوية وفقهية خاصة وهو أمر قليل الوجود ومنذ أزمنة طويلة وفي مساجد كثيرة؛ لكون كثير من المشايخ ليسوا أكثر من طلبة مسافرين كبار مع بعض الإتقان للخطب والفتاوى المشهورة في العبادات خصوصا.[1].

وإذا أخل الطالب بشرط من الشروط أو ساءت ظروف إقامته كأن يتعرض هو للأذى من قبل آخر أو يقوم هو بأذى غيره فغالبا ما يغادر هو بنفسه أو يتم تسريحه، لعدم التوافق ولا يكون ذلك إلا بسابق إنذار وتدخل الشيخ للتوجيه.

كما لا يسمح للطلبة بمغادرة المسجد لزيارة أهلهم أو تغيير المسجد إلا بإذن الشيخ أو مقدم الطلبة وربما كان ترك الخبر للشيخ أو غيره عند الطلبة كافيا. ونود أن نشير هنا إلى مجانية التعليم والإقامة بالمسجد، وعلى العكس من ذلك يتلقى الطالب الإعانات المتعددة ولو كانت محدودة.

ثالثا– ضرورة الشيخ للطلبة المسافرين

غالبا ما يكون الشيخ من قدماء " **الطلبة المسافرين**"، ووجد من نفسه القدرة على تكرار التجربة، والمحافظة على تقليد شيوخه؛ فيتبع نفس الطريقة لا يغير من الرسوم إلا ما فرضته تحولات الظروف الاجتماعية وغيرها، أو تبدل عقلية " **الطلبة المسافرين** "، كما سأشير إليه لاحقا بخصوص فكرة جمع النفقة من أهل القرية مثلا، واستعمال الهاتف للتسميع والحفظ والتكرار...

ومسؤولية الشيخ ههنا مزدوجة فهي من جهة علمية ومن جهة أخرى اجتماعية بما يشمل توفير أسباب المعيشة وأساسها الإطعام. ومن الملاحظ هنا أن الشيخ كثيرا ما يكون وخصوصا في بدايات تجربته هو المعلم لجميع الطلبة يفتي لهم مقادير الحفظ لكتابتها في اللوحة الخشبية بالصمغ والقلم، و" **يَسْلَكْ**" أي يصحح لهم ما كتبوا بغرض أن يأتي صحيحا متوفقا مع الرسم القرآني الموروث بدقة متناهية لا تقبل التغيير إطلاقا وإي تهاون في ذلك يعرض الطالب إلى الإنكار الشديد خصوصا في الأزمنة المتقدمة. ولم يقع التهاون في ذلك إلا مؤخرا عندما أصبح الطلبة يكتبون مباشرة من المصحف أو لا يجدون من يجيد تصحيح ألواحهم كما هو مطلوب بالدقة المتناهية. وإذا كان الشيخ ممن يجيد الفقه والنحو، فإنه يقدم لهم مقادير من ذلك لا يبلغ الاهتمام بها الاهتمام بالقرآن وحفظه وتكراره وضبط كتابته بالرسم الموروث.

ومن جهة أخرى فإن من مسؤوليات الشيخ توفير الإطعام للطلبة المسافرين، وذلك يختلف تبعا لنشاط الشيخ وقدرته على التصال بأهل الحي والمحسنين عبر درس الجمعة أو عند حضور المناسبات أو بالاتصال شخصيا ببعض المحلات التجارية والمخابز...وكثيرا ما ينفق على الطلبة عند تعذر ما ذكر فيعتبرهم في النفقة كأولاده وإلا سرحهم أو أذن لمن رغب في تبديل الإقامة.

ومن مسؤولياته الشيخ ايضا توفير الأمن للطلبة المسافرين بالمراقبة، والسؤال عن الغائبين واستفسارهم، وتحذيرهم من الإساءة إلى أهل الحي وربما من الاختلاط بهم أو التأخر ليلا أو المبيت خارج مكان إقامتهم، أو قبول مبيت أغراب إلا بإذنه ومشورته. ويتمتع " **الطلبة المسافرين** " لدى الجهات الأمنية بارتياح تام.

وأختم هذا العنصر بالتنبيه إلى أن الشيخ قد يكون شديدا في تسييره حازما حتى في حضور الطلبة الصلوات جماعة خلفه، وربما تساهل معهم إلى درجة تلفت الإنتباه وكثيرا ما تكون خصوصا في الأزمنة المتأخرة مثار نقد من الوافدين للصلاة بالمسجد من أهل الحي وغيرهم. وإذا حدث وأن تغيب الشيخ عن المسجد ولم يجدوا من يخلفه منهم كان التذمر وربما الإنكار أشد. على أن المجتمع في العموم يفهم عقلية الطبية المسافرين فيتحفظ تبعا لذلك في الانتقاد. وقد أورد الشيخ ميارة في كتابه الدر الثمين[2] أبياتا للإمام الهبطي[3]، يتبين من خلالها أن آفة عدم المحافظة على الصلوات جماعة والاقتصار على العناية برسم القرآن قديمة:

أما الذين يقرأون القـــــــرآن ooo فإنهم على سبيل الشيــطان

ترك الصلاة عندهم مشـــهور ooo وإن تكن يفوتها الحضـــور

ما عندهم بالاحتفال معـروف ooo إلا الذي أتى بعلم المحذوف

قد ضيعوا علم أصــول الدين ooo كضيعة المفــروض والمسنون

وأشير هنا إلى أن هذا كثيرا ما كان في الأزمنة الصعبة وأوقات انتشار الأمية الدينية، وصعوبة الالتزام الاجتماعي، وقد تغير هذا كثيرا، وتم التخلص من جملة كثيرة مما ذكره هذا الفاضل، على أن ذلك لم يكن عاما في كل مكان ولا زمان.

– **تواجد السكان بالقرية:** وهذا العامل ظل ضروريا، وفاعلا في دوره بما يسهم به من القيام على إطعام الطلبة بما تيسر لهم في حال الشدة والرخاء، والرضا بتواجد "**الطلبة المسافرين** " بينهم، لا يختل في ذلك الرجال والنساء الكبار والصغار، الأغنياء والفقراء، لارتباط الأمر بالقرآن الكريم وبالتعليم الديني عموما، وما يؤديه الطلبة وشيخهم من المهام الدينية، وإحياء المناسبات الاجتماعية من أفراح ومآتم، والرقية للمرضى والمسحورين والمربوطين ليلة الزواج وغيرها...فينفق الجميع على حسب مستوياتهم بما حضر من الطعام أو غسل اللباس، وتقديم الأفرشة والأغطية للطلبة... وقد سبق وأن أشرت إلى أن المجتمع وإلى وقت قريب كان ينظر أساسا إلى واجب تعظيم القرآن في صدر الطلبة المسافرين لا أكثر من ذلك، وهو ما جعل المجتمع يحجم بشكل لا تردد فيه عن أي شكل من الانتقاد لسلوكات الطلبة مهما بلغت من درجة الاستنكار، ويقدم الواجب عليه خدمة للمقصود المذكور. إضافة إلى أنهم في الغالب غرباء وعزاب انقطعوا إلى العلم تمهيدا للتعليم، فهو شعور بمسؤولية جماعية ثقافية بعد كونها قربة دينية.

مفردات الحياة العلمية

أ– حفظ القرآن أولا: يتلخص عنوان طريقة حفظ القرآن الكريم بالغرب الجزائري في المبدأ التالي: **الحفظ بإتقان، والتكرار باستمرار**. فإنه إذا كان الأساس هو القرآن الكريم فإن الطريقة بالتالي هي الحفظ المتقن، والذي يمر بخطوات متتبعة ومتكاملة كما يلي: ففي الخطوة الأولى يتم كتابة المقدار المحدد في **اللوحة الخشبية**، وقد يتيسر لبعضهم فتكون من **شجر العرعار**، والمقدار غالبا هو الثمن الأول من الفاتحة وبداية سورة البقرة، مع كتابة رأس اللوحة الذي هو الجملة الأولى من الثمن الثاني يمليه الشيخ من حفظه على الطالب ويجتهد الأخير في كتابته وفق الرسمي القرآني وهو الإملاء الخاص بالكلمات القرآنية المنقول بدقة متناهية خلقا عن سلف. وكلّ ذلك تحت نظر الشيخ، ويعيد الطالب ما يسمع من الشيخ إلى نهاية اللوحة ليتأكد الشيخ من سلامة النطق والقراءة. فإذا انتهى الإملاء "**الفتوى**" تكون فيه قراءة جماعية مع الشيخ ثم مع بعض الطلبة مرات عديدة؛ ليأخذ الطالب بعدها دوره في الإعادة أكبر عدد ممكن في حدود اليومين، وهو رقم قد يتجاوز مئات المرات. ليعرض محفوظه على شيخه فيأذن له الأخير في محو المكتوب الأول باللوحة **بالصلصال**، والانتقال إلى الثمن التالي وهكذا...إلى آخر سورة الناس. وفي خطوة ثانية، يحافظ الطالب يوميا بلا كلل ولا ملل على حزب أو حزبين قبل اللوحة الجديدة يحفظهما من صدره، وبعض المجتهدين يجعل " **لَمْحَاوَة**" أكثر من ذلك إلى حدود خمسة أحزاب صباحا ويعيدها مساء. كما يجتهد الطالب في الفترة المسائية على مراجعة جميع ما يحفظ يوميا وإن كان كثيرا قسمه بين يومين أو أكثر، والقاعدة تقسيم تكرار المصحف كاملا خمسة أحزاب: " **خمْسة خمْسة لا تنسى**.". ويراجع أيضا الطلبة جماعة ويوميا مقادير متوسطة " التكرار" برتم، ونغمة واحدة، مع احترام المدّ والوقف " **القَيْفْ**". وقد يكون ذلك بالحزب الراتب في المسجد وغيره، يختمون في الشهرة مرة واحدة، يحضرها العوام ويتم فيها جمع الإعانات " **الزّيارَة** "، للطلبة المسافرين نقودا أو مواد غذائية.

ب – الوسائل التقليدية: تتدرج الوسائل المتعملة بين التقليدية وهي الأساس الذي استمرَّ القرون الطويلة، وكان هو القاعدة المتبعة وغيرها دخيل عليها لم يقبل إلا مؤخرا ولا يزال يواجه بالرفض والانتقاد التام. فاللوحة الخشبية، والقلم المصنوع من القصب، والدواة والتي بها الصمغ المصنوع من وصف الغنم يحرق ويدق ويخلط بالماء..وأما المصحف فلا يكاد يوجد في القرون الماضية إلا عند الشيخ ومع ذلك فهو أمر قليل، ولا يتم استعماله إلا نادرا كأن يختلف الطلبة في رسم كلمة فيعودون إليه إن

أمكن لمعرفة ضبطها الصحيح. ومن المرفوض أن يستقل الطالب بالكتابة من المصحف إذا تيسر له أو أن يقرأ منه، وهم لذلك يضعون بعض العبارات الدالة على استنكار ذلك " **اللّي شيخَه مَزْوَدْ غيرْ يروحْ يُرقُدْ.**"، وهي شبيهة بالعبارة القديمة وفي نفس السياق: " **لا تأخذ العلمَ من صُحُفي، ولا القرآنَ من مُصْحفيّ.**"[4].

غير أنه وبشيوع المصحف بعد انتشار طباعته وتيسره للطلبة أصبح كثير منهم يستعينون به في الكتابة والمراجعة...كما وجدت اللوحة الإلكترونية والكتابة بالقلم اخاص بها، ويقوم بعض الطلبة بالقراءة من الهاتف النقال والاستماع والتكرار بواسطته، وهو أمر لا ينال إعجاب ولا قبول الكثيرين.

ج– ضبط نصوص الرسم: وهنا خاصية لطلبة القرآن وأؤكد على المسافرين منهم فقد يهيء لهم اجتماعهم المذاكرة في رسم الكلمات القرآنية، وطريقة كتابتها وضبطها كما هو المنقول عن السلف بالمغرب العربي، ومنظومة الخراز ووقف الهبطي، ولا يتسامحون في مخالفة الكتابة، يشرف على ذلك الشيخ أولا ويتناقله الطلبة ويجيده النابغون منهم، ومع ذلك يحصل كل طالب منهم مهما كان مستواه مقادير جيدة من ذلك، ويتناقلون لأجل نصوصا دقيقة صاغها الواضعون لها بلغة بسيطة عامية غالبا، ووجيزة وفيها بعض الظرافة، وكلمات حادة لمن يتسامح في مخالفتها[5]. نذكر من ذلك ما يلي:

– "**ما يضبطْ الميمْ عندَ البَا غَيْ ولد الكلبة.**"، يقصدون إذا اجتمعت الميم وبعدها باء فإنها تدغم في الباء، ولا تجعل حركة على حرف الميم.

– "**أنُ اخْرَجَ (ـا) والنقطة كْلَاتْها دْجاجَة.**"، والقصد أن الألف من كلمة (**اخْرَجَ**) يجعل في وسطها شرطة ولا يوضع فوق الألف نقطة كما هو معروف في المصحف.

– " **احشروا والنقطة قد الدورو.**". والقصد أن أن نقطة واضحة تجعل وسط الألف في كلمة (احشروا) من سورة الصافات. وربما كانت هذه النصوص خاصة بضبط ورود الكلمة القرآنية الواحدة بصيغ إعرابية مختلفة في مواطن متعددة فيتم تحديد تلك المواضع برموز أو بنظم وجيز يشير إلى الآيات أو السور حيث وردت بالرفع أو بحذف الألف، أو فتح التاء...نذكر منها ما يلي[6]:

– الرجْسَ بالسين فخذْ بيَاني *** أربعةٌ في جمـــــــلةِ القــرآنِ

(**ولونّا**) (**بوّأنا**) (**هذان**) *** (**ومن يّقنتْ**) يا ربِّ لا تنساني

– احذف (**ترابا**) يا مَامَّا *** (**وإن تَعجبْ**) (بلِ ادّارك) و(عَمَّ)

– نبدَا باسم الله والثاني رسول الله

على النفع لا تنساه قبل الضُرِّ يا قُرَّا

لاول (**وعندَه**) (**بوّأنا**)(**رشدَه**) (**يرزقكم**) لا ضيرا

(**وإن تعجب**) يا إخوان (**مدّ الظل**) في الفرقان،

بوترفاس يا رحمان في جنتك العلى.

سألتني يا قندوز عنن ذلك هو الفَوْر *** في ستة لا تجوز اسمعْ لي واعقِلا

اثنان في **التوبة** و**يونس** بالبـــــــيان *** **غافر** و**الدخان** و**الحديد** مكْمِلا

(**بشاطئ**) محذوف والهمزة تحت اليَا

امرئِ يا تُوهام تحتَ الردَّة تمامْ

ترحمْ أهلَ النظام بجاه سيدْ رقيه.

يمينة تغزل في الصوف وتنادي بالجلالة *** (**فتيتكم**) محذوف (**كاتبوهم**) لاَ لاَ.

والأساس في هذه العملية أن يكتب الطالب أول الأمر بمراقبة شيخه اللوحة صحيحة بعد " سلكها" من الشيخ أي تصحيحها وفق الرسم.

د– دروس الشيخ أو بعض كبار الطلبة: وأود أن أشير هنا إلى أن الطلبة المسافرين ينقسمون إلى قسم يحرص على القرآن لا يتعداه، ويهتم كثيرا بالبحث عن المساجد التي بها من يعلم العلم خصوصا الفقه والنحو، وقسم يبحث عن هذه المواضع، وأولئك المشايخ ويتخير منهم من يقبل عليهم الطلبة كثيرا ولهم شهرة وسمعة تسبقهم في النواحي والأرجاء. وغالب ما يتم الاهتمام به الفقه أولا من بعض المتون كابن عاشر لشهرته ووجود من يدرسه غالبا، وكذا محاولات في البدايات الأولى في مختصر خليل. ويهتمون أيضا بالأجرومية والألفية في النحو كان هذا رائجا فيما مضى، و وقد قل في الأزمنة المتأخرة جدا

والكثرة للقسم الأول خصوصا **بالقرى والدواوير**.

هـ– متابعة التعليم بالمراسلة: نختم هذا العنصر بالإشارة إلى ما أصبح يهتمُّ به كثير من "الطلبة المسافرين" من متابعة التعليم بالمراسلة، لكونه يتعلق بتحسين المستوى العلمي الذي يسمح لهم بالالتحاق بالمعاهد ومسابقات التوظيف، وفرص الإدماج المباشر بقطاع الشؤون الدينية خصوصا، وعموم القطاعات الأخرى. وقد كان كثير من الطلبة لم تسمح لهم الظروف الالتحاق بالمدرسة أصلا، وبعضهم في السنوات الأولى من الابتدائية؛ ولأجل هذا يقصدون هذا الشكل من التعليم، وينجخون فيه لما فيه من التسهيلات، ويقتصرون غالبا على إدراك شهادة الرابعة متوسط، ومنهم من يصلُ إلى الحصول على شهادة السنة الاثلة ثانوي، وربما نجح في البكالوريا، ودخل الجماعة وحصل بعد المشقة على شهادة عليا، بفضل الهمة في تجاوز كل تلك الصعوبات. بل أعرف من سافر إلى خارج الوطن قديما وحديثا إلى القرويين المغرب، والزيتونة بتونس والأزهر بمصر وإلى المسجد النبوي وسوريا، ومنهم من ذهب إلى موريطانيا. وأما من سافر إلى مدرسة الشيخ محمد بلكبير فكثير بداية من السبعينات من القرن الماضي.

وفي الأزمنة المتأخرة أصبح مستوى التعليم المتوسط والتعليم الثانوي متاحا بسبب مجانية وإلزمانية التعليم بعد حصول الدولة الوطنية على الاستقلال، وحرص القائمين عليها مأجورين ومشكورين على محاربة الجهل والفقر والمرض...وأصبح كثير من الطلبة المسافرين موظفين بقطاعات التعليم والشؤون الدينية والشرطة...وتم التوسع في لقاح الحياة بما معهم من القرآن والثقافة الشرعية. نكتفي بهذا المقدار على سبيل الإشارة، وقد تتيح فرص أخرى التوسع في ذلك.

خامسا– ملامح الحياة الاجتماعية "للطلبة المسافرين"

أ– هيكلة الحياة الاجتماعية بالمسجد: تقوم الحياة الاجتماعية بين الطلبة وشيخهم على أساس هرمي يبدأ بالشيخ فهو المسؤول الأول عن أمور الطلبة المختلفة، ويحدث كثيرا أن ينيب عنه أحد كبار الطلبة يسمى " لمقدم"، أي مقدم الطلبة وهو الذي يباشر الطلبة بالمعاملة، ويتدخل في تسيير الأمور، ويضع عنده الشيخ الأمور المادية والإدارية، وينقل اهتمامات الطلبة إلى الشيخ، وتوجيهاته إليهم، ويتواصل مع اهل الحي وغيرهم في تفاصيل الحياة اليومية. وقد يتولى عن الشيخ بعض مهامه العلمية كتحفيظ الطلبة، والتكرار للطلبة وغير ذلك.

ب– مصادر النفقة على الطلبة المسافرين: لا يكون أمر إطعام الطلبة بالسهولة التي قد يتصورها المتعجل فقط لأنهم أهل قرآن، أو أن أهل الحي يجب عليهم القيام بأفضل مما يستيطعون، إذ بالرغم من كثرة تواجد الطلبة المسافرين بالمناطق الريفية الشمالية حيث الفلاحة...إلا أن ظروفهم تختلف تبعا لذلك. ونشير هنا إلى أن الطلبة عرفوا شكلا من الإطعام غريب اسمه " **الميْجُود**"، وهي لفظة مشتقة عند من ينادي بها أن يقدم له ما يوجد عند أهل الدار ويتيسر لهم مهما كان بسيطا، ويخلط الجميع في قدر واحد ولا يجد الطلبة بدا من أكله على حاله. وقد اختفى هذا الشكل من الإطعام، وحل مكانه نوع آخر يسمى " **الرِّتْبَة** "، بحيث يتكلف بالاشتراك أهل الحي بتهيئة الغداء أو العشاء أو هما معا في قائمة دقيقة أعدت لأجل ذلك، ويذهب في التوقيت المطلوب بعض الطلبة لإحضار ذلك. وربما دعاهم صاحب البيت إلى ما أحضر لهم من "**الرتبة**". وكثيرا ما يقوم طالب واحد بذلك لشهور سعيا لخدمة الطلبة بما يعدونه بالدعاء أن يفتح الله عليه من الحفظ وإتمام ختم القرآن. وهو يقوم بذلك وكلُّه رضا بما يفعل لا يشك في قيمة ما يفعل.

وفي الأزمنة الأخيرة استقل بأمورهم الغذائية فأصبح يكفي أن يتطوع لهم المحسنون بالنفقة نقودا أو مواد غذائية، ويتداولون فيما بينهم الطبخ وإعداد الوجبات المناسبة...وأصبح لكثير منهم من وسائل المطبخ الكثيرة بما فيها العصرية جدا، وكذلك الثلاجة والتلفزيون والمدفأة والمكيف الهوائي وغير ذلك كثير...وقد يبقى بعضهم على البساطة الأولى بتغييرات بسيطة.

ومن مصادر النفقة أيضا ما يلتزم به بعض أصحاب المخابز للطلبة يوميا بمقادير من الخبز ويلتزم أصحاب المواد الغذائية بما يستطيعون...ومن المصادر نفقات المحسنين، وحضور المزكين للشيخ أو يدفعون للطبة مباشرة،بما في ذلك نصيب الطالب الغائب، على أن الغياب لا يكون إلا في فترات معلومة وبإذن الشيخ كما سنشير إليه لاحقا.

ومن تقاليد الطلبة المسافرين حضور مناسبة الموت فقد كانت تستمر أسبوعا، وكذلك مواعيد القدوم من الحج أو الوعدة، حيث يتم حضور السكان قصدا لجمع الزيارة للطلبة كل بما يستطيع مهما قل مقابل تقدم الطلبة بالقراءة والدعاء للمحسنين بالشفاء والأمن، ونزول الغيث، والغلة الفلاحية الكثيرة..

ولا يمكن في هذه العجالة ضبط جميع مصادر النفقة على الطلبة المسافرين، وبعضه لا ينضبط أساسا لكون صدقات المحسنين كثيرا ما تكون خفية، وقد يكون منهم مسؤولون بالدولة، وغيرهم من الرجال والنساء...وأنت ترى أن النفقة كثيرا ما تتعلق بالضروري من الغذاء أو تطوع بعض الأطباء بالكشف عن الطلبة ومراقبة أحوالهم الصحية...

ج- العلاقات الاجتماعية: نتناول تحت هذا العنصر شكلين من أشكال التواصل الاجتماعي الأول التواصل بين الطلبة المسافرين أنفسهم، ثم التواصل بينهم وبين مع المحيط الاجتماعي. يعيش الطلبة في مكان واحد، مما يتيح لهم جوا نفسيا واحدا، فمن جهة ترتيب الخدمة يتداول الطلبة على تحصيل نفقاتهم من عند أهل القرية أو الحي بالمدينة، فيخرجون بشكل منظم إلى البيوت والأسواق لأجل ذلك، كما يتدولون على إعداد الوجبات في اليوم الواحد وربما في الأسبوع الواحد، كما يتناوبون في النظافة نظافة مكان إقامتهم والمطبخ بالخصوص. ويقوم بالإشراف على ذلك مقدم الطلبة، فيلزم الجميع بذلك، ويتدخل عند حدوث الخلل المتوقع أو غياب بعض الطلبة أو ممرضهم أو امتناع بعضهم..

ونشير هنا إلى وجود ظاهرة فريدة من جهة كونها خاصة بـ"**الطلبة المسافرين**" دون غيرهم من أفراد المحيط الاجتماعي، وعامة من جهة كونها عند جميع الطلبة حيثما وجدوا، فـ" **القاعدة**"، وهي ألفاظ ترمز إلى تواصل خاص بينهم في الموضوعات التي لا يختار الطلبة التصريح العادي بها فهي بتعبير بير بورديو عبارة "إنتاجات رمزية تضمن التواصل المباشر بين أعضاء مستعمليها."[7]. ونحن نستعمل هذا الشاهد هنا بما لا يفقده معناه، ويحصل مؤداه. ثم هي إضافة إلى رمزيتها يحرصون على سريتها فلا يتداولها سواهم إلا من كان مقربا منهم وهو بتعبيرهم شخص محبّ. وكلمة " **قُبَّانْ** " مشتقة من (قربان) الواردة في قوله تعالى (قُرْبَانًا آلِهَةً)[الأحقاف: 28]، ومعناها بتعبيرهم الجاهل والمار وبالضبط الذي لا يحفظ القرآن ويريد أن يتدخل في شؤون الطلبة. وسواء هذه الكلمة أو غيرها مما سنشير إليه فإنها تؤدي بنجاح المعاني المختصرة التي يودون الإشارة إليها عند الحديث بما نسميه " Flash"، وغالبا ما يكتفون بها ويتبعونها بابتسامات أو ضحك. وهو ما لا يعرف له المستمع " **القُبَّان**" سببا مباشرا.

وأذكر بالمناسبة بعض الرموز المستعملة في ذلك:

- " **ضَعُفَ**" يشيرون بها إلى من هو من طلبة القرآن أي "**الطالَبْ**" تفريقا له عن " **القُبّان**"، أخذا من قوله تعالى ({ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [الحج: 73].

- " **ولمـّا**" يعني الأمر بالسكوت وتغيير الموضوع بسبب حضور الغير من قوله تعلى (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ)[الأعراف: 154].

- " **مَسْحًا** " تعبير عن عدم الحصول على شيء خصوصا الزيارة من بعض المناسبات، أخذا من قوله ({فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)[ص: 33].

- " **القواعد**" يشيرون بها إلى النساء، أخذا من قوله تعالى (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ)[النور: 60]

- " **فارتقب**" يستعملونها للإشارة إلى التدخين أو من يدخن أخذا من قوله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) [الدخان: 10].

- " **وما يعلمُ**" يشيرون بها إلى الجندي أو الخدمة الوطنية، أخذا من قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)[المدثر:31].

- "**قالَتِ** " يشيرون بها إلى أصحاب المال أو المسؤولين أو الملوك، أخذا من قوله تعالى (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ)[النمل: 34].

- " وأبونا" إشارة إلى الشيخ في الحديث أو الانتقاد أو إلى حضورها ليأخذوا حذرهم أو أماكنهم في القراءة أو النوم، أخذا من قوله تعالى (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)[القصص: 23]. لما له من الأبوة الروحية وهو معنى متدوال عند الشعوب.

- " فعززنا" إشارة إلى التحاق طالب ثالث وغالبا ما يكون لانتقاد حضوره كأن يكونوا في وليمة لا يريدون فيها زيادة العدد فيقل نصيب " الزيارة " لكل واحد. أخذا من قوله تعالى (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)[يس: 14].

- " لا تاخُذْ" يشيرون بها إلى أصحاب اللحية عند الإشارة إليهم في الحديث أو التحذير من حضورهم أخذا من قوله تعالى (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي)[طه: 94]) وهم في الجملة يرضون عنهم، وبعبارة أخرى لا يرضى بعضهم عن بعض. فعند " **الطلبة المسافرين** " أن هؤلاء " **مُـنّكِرينْ** " لا يحبون الطلبة، وعند أصحاب اللحية أن " **المسافرين** " يتاجرون بالقرآن، ويرتكبون البدع ويتهانون في الدين والصلاة. ولا يعتقد **الطلبة المسافرين** أنهم يقدمون لهم شيئا من الدعم والنفقة، والغالب أنه كذلك.

- " **وبالليل**" يشيرون بها إلى وجود مناسبة مأتم وموت حيث يجتمع الطلبة للقراءة والعشاء والزيارة. أخذا من قوله تعالى (وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الصافات: 138]، حيثما وجدت.

- " **أنكرَ** " يشيرون بها إلى تسمية شخص بالحمار، أخذا منقوله تعالى (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[لقمان: 19]، ويسكنون بعد النطق بمثل هذه الألفاظ فيفهم الطالب وحده المقصود.

ويشير الباحث عباس رضوان إلى أن " القصد منها ظاهر الكلمة وليس باطنها كما جاءت في التفاسير القرآنية، فهم لا تداولونها إلا لحاجة وهي المحافظة على كيان مجتمعهم، ويعتبرونها لغة سرية بحيث تشترك فيها الجماعة بكاملها."[8]. وإن تفسير هذه اللغة يجب أن ينطلق من واقع الطلبة، ومستوى ثقافتهم، صحيح أنه من الممكن الإشارة إلى ما مر بغير الألفاظ التي ذكرناها فباب اللغة واسع وكان ذلك لا يمكن أن يكون يتم عند عموم الطلبة بمختلف مستوياتهم، وذلك أن المتاح هنا واسع وقريب والتركيز إنما هو على استحضار النص المحفوظ فرمز " **أنكر**" يستدعي استحضار الكلمة المقصودة آخر النص، وكذلك رمز " **وما يعلمُ**" يستدعي أيضا استحضار كلمة الجنود التالية للرمز، وكذلك في " **أبُونا**"... وقد يرمز بنفس الكلمة مثل " **مسْحا**"، و"**عززنا**"... وقد لا يوجد ما يقصدونه باللفظ في الآية ولكن يوجد لازمه، مثل " **حرَّمْنا** " رمز إلى ثدي المرأة أخذا من قوله تعالى (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ)[القصص: 12].

وبخصوص دواعي هذه الرموز كون الطلبة شخصيات دينية، وليس مسموحا لهم أن يتناولوا القضايا خصوصا الحساسة منها في المجتمعات الضيقة بالوضوح والصراحة، كما قد يتناولها غيرهم، إذا أخذنا في الاعتبار أن نفقة الطلبة مرتبطة بغيرهم أو قل برضا غيرهم، فأي توتر يحدث يمكن أن يصعب من إقامة الطلبة ويعرضهم إلى ردود فعل غير متوقعة.

وتصل درجة الحذر إلى التواصي باستمرار بلزوم العلاقات المحدودة مع أهل الحي، والتي لا تتعدى القيام بما هو واجب، وذلك أن الطلبة صغار السن وقد يختلفون مع أقرانهم من أهل الحي فيتشاجرون أو ربما يتعرضون لبناته ونسائه وهو أمر لا يمكن تحمله بحال، وقد يدخلون في الخصومات القائمة بين سكان الحي الواحد؛ فينتج من ذلك عواقب سيئة وفي غير صالح الطلبة، والعبارة التالية تكشف عن درجة الحذر في أقل مستوياته وهي: " **من دفعة لدفعة إلى باب اللَّفْعة**"، وهو تحذير كاف.

ومن جهته يتحفظ المجتمع رجالا ونساء من جهة الطلبة، فقد حكى لي بعض المسافرين أنه ذهب إلى أحد البيوت لإحضار وجبة الغداء فقالت له امرأة: هل بقي لك ما تقرأ، اذهب لتعملْ. فعاد بها إلى شيخ القرية فنادى على زوجها وغرمه مبلغا مستحقا، فدفعه بعد أن أشبعها ضربا لتدخلها فيما لا يعنيها، وإسقاطها حرمة الطالب.[9].

وأما من جهة تواصلهم بغيرهم من أفراد المجتمع زيادة على ما ذكرنا فإن حضور الصلاة بالمسجد بما فيها الجمعة، وكثيرا ما يتطوع بعض الطلبة بإذن أو تكليف من الشيخ بالأذان والصلاة وربما إلقاء خطب الجمعة، وهو أمر نادر لكنه يحدث في بعض الأماكن. ولا علاقة للطلبة بتعليم الصغار فإن ذلك يقوم به شخص مقيم بالقرية وفي الأزمنة الأخيرة أصبح موظفا بقطاع الشؤوون الدينية.

وكذلك يتم التواصل بحضور المناسبات الاجتماعية المختلفة والكثيرة من مآتم متكررة وهو ما يرمزون إليه (وبالليل) وما يتمُّ فيها من التواصي بالطلبة المسافرين، وجمع الزيارات النقدية غالبا. وأما القراءة بالمقابر فلا تكون إلا عند إذن الشيخ بذلك، وكذلك حضور "**الوعدة** " في مختلف المناطق، وقد كانت تستمر أسبوعا كاملا، وهي مناسبات غنية بالأحداث وفرص التعارف وتبادل أخبار الطلبة والمشايخ وظروف الإسكان وجودة النفقة والزيارة...وأخبار الطلبة وما يتعاطونه من نشاط بعد أن يخرجوا إلى الحياة، ومن تزوج منهم ومن يكون قد توفي بدوره...

وحضور الختمات بالزوايا وبيوت الأعنياء..ومن المهم هنا أن أشير إلى أن الطلبة يأخذون شهر رمضان عطلة ليتسنى لهم البحث عن الأماكن التي يحتاج فيها إلى من يؤدي ختمة القرآن، نظير ما يلقاه من العناية والزيارة المقصود. وأما فصل الصيف فهو فصل العمل بالفلاحة والحصاد في الأماكن التي يتوفر فيها ذلك، وهو أمر متوفر ويعود على الطالب بما يعينه على أمور دنياه.

سادسا– آفاق تقليد الطلبة المسافرين: بالرغم أن التقليدا لا يزال قائما وبصفة معقولة إلا أنه يشتكي تناقصا عما كان عليه إذ أخذا في الاعتبار عدد المساجد بالغرب الجزائري والذي يتجاوز الآلاف مع توفر الهياكل وجميع وسائل الراحة، وتحسن ظروف المعيشة عموما، وذلك يرجع إلى أسباب عديدة منها ما يرجع إلى الشيخ ومنها ما يرجع إلى الطلبة، ومنها ما يرجع إلى المجتمع. فمن جهة الشيخ فإن العقلية قد تغيرت بسبب التوظيف من جهة وبسبب القلق الذي قد يتعرض له بدون وجود طلبة مسافرين فكيف إذا كانوا بالمسجد وعددهم كبير. وغالب المشايخ ليس لهم استعداد تكوين مدارس لصعوبة الأمر وما يتطلبه من مراقبة وصبر وسعي لتحصل نفقات الطلبة المسافرين.

ومن جهة الطلبة فإن ضعف التوظيف والتعليم المدني، وضغط الحياة المادية على الوالدين وما يتطلبه الحال من دعم العائلة أمام متطلبات الحياة، وأيضا الخدمة العسكرية كلها تسبب حواجز نفسية تعيق تقبل الفكرة بالشكل الذي كانت عليه في الأزمنة المقدمة.

وأما من جهة المجتمع فإن وجود منتقدين للفكرة بسبب بعض الملاحظات على الطلبة من جهة طريقة التعليم والقراءة، وحضور المواسم والمآتم وضعف المستوى المعرفي للطلبة أنفسهم أمام شيوع تحفيظ القرآن، ويسر تعلم أحكام قراءته التي لا يحسنها كثير من "الطلبة المسافرين"؛ بل إن قراءة الشرقي صارت منتقدة بشدة، وأصبح يتخلى عنها المسافرون أنفسهم إلا في الخلوات الخاصة. وقبل هذا شيوع التعليم المدني الذي يعقبه التكوين المعني وغيره قد ضيق من مجال الحاجة إلى طلبة مسافرين، بل إن المستوى المعرفي عموما قد فاق وتجاوز مستوى الطلبة المسافرين في أكثر المجالات.

أ– إلزامية التكوين: إن النظر إلى مدى الحاجة إلى الطالب المسافر بالصيغة الحالية لدى المجتمع هو الذي يفسر لنا عدم كفاية الصيغة النمطية للطالب، وهو ما يستوجب برمجة التكوين في المواد الشرعية والقانونية والإعلام الآلي واللغات، وإلا باتت الحاجة إلى غيره أكثر منها إليه ولو بأجزاء محدودة من القرآن. ولذلك يقدم الأئمة والقطاع فرصا للتكوين لا يتم عليها الإقبال بشكل جيد ولكن الفكرة من أصلها مقبولة، أو يجب أن تكون كذلك. فإن غالب موضوعات أسئلة الإمتحانات في التوظيف تكون من برنامج التكوين المسطر. وإن هذا البرنامج لا تكفي فيه الثقافة التقليدية لدى الطالب المسافر على فرض وجودها.

ب– فرص التوظيف: ومن جهة أخرى يحرص الطلبة المسافرين على اختصار مدة "لمسافرة " بغرض التوجه إلى التوظيف والنجاح في مسابقات الدخول إلى المعاهد الإسلامية التي من وظيفتها تكوين الإطارات الدينية العاملة بالمسجد من الإمام إلى قيم النظافة والصيانة...ويتم مرات الإدماج المباشر لكثير من الطلبة المسافرين إذ كان لهم من المستوى ما يؤهلهم إلى النجاح في الأطوار المطلوبة والتي تعادل بعض مستويات التعليم المدني وهي إما السنة الرابعة متوسط أو الثالثة ثانوي.

ج– التوجه إلى الحياة العامة: ونود ختاما الإشارة إلى أن كثيرا من الطلبة المسافرين وإلى اليوم ليست لهم رغبة في التوظيف بالمساجد، وإنما يختارون الاشتغال بالتجارة أو التوظيف بجهاز الشرطة أو حراسة السجون، وبعضهم وهم كثير يعانون البطالة كامل أعمارهم لا يستعينون بغير نفقات المحسنين في المناسبات الاجتماعية التي أشرنا إليها سابقا.

خاتمة

نخلص من البحث الموجز لهذا الموضوع إلى ما يلي:

– أن تقليد **الطلبة المسافرين** أصيل لا دخيل، عموما بالمغرب الإسلامي وخصوصا بالغرب الجزائري منه.

– أن أساس " **لمسَافْرة** " هي حفظ القرآن الكريم، وقد يتيسر معه بعض المعارف الشرعية لكنها في العموم هامشية.

– وجود لغة تواصل رمزية تضمن سرية الأفكار والمواقف في المجتمعات التي توصف بالضيقة وذات الحساسية.

– أن المجتمع هو القائم المباشر بأمور المعيشية للطلبة وذلك منذ قرون وإلى حد الساعة.

– أن الصيغة النمطية " **للطلبة المسافرين**" سيتم تجاوزها إذا لم تتعاطَ مع الظروف المستجدة، نظرا لاتساع التعليم المدني وارتباطه بالتوظيف، وضيق فرص هذا النمط من التعليم، زيادة على فقره للجانب الأدائي من أحكام التجويد، وانعدام الشهادات الرسمية وإلى عهد قريب.

– أن جملة الظروف المعيشية اليوم مشجعة لنمط معدل من " **الطلبة المسافرين**".

التهميش:

[1] – لقاء خاص بالسيد لزرق ميلود من ولاية غليزان، أستاذ التعليم القرآني بولاية عين تموشنت. يوم 02/19/ 2019م. أحد الطلبة المسافرين في عدة ولايات منها غليزان ووهران في الثمانينات من القرن الماضي.

[2] – الدر الثمين والمورد المعين، محمد بن أحمد ميارة الفاسي (دار الحديث القاهرة، 2008م) 608/1.

[3] – الشيخ عبد الله الهبطي من أهل المغرب له ألفية تسمى " الفتية السنية" في نقد أحوال زمانه من القضاة والخبازين، والفلاحين، والنساء...

[4] – راجع د: عباس رضوان، واقع مدار س التعليم العتيق بمنطقة تلمسان، مجلة الفكر المتوسطي، العدد 05 جوان 2013م.

[5] – لقاء خاص مع بعض الطلبة المسافرين سابقا منهم السيد قوبر بوسيف إمام مدرس بولاية عين تموشنت.

[6] – لقاء خاص مع بعض الطلبة المسافرين بولاية عين تموشنت.

[7] – الرمز والسلطة، بير بورديو (دار توبقال، المغرب، ط:02، 2007م) /72.

[8] – د: عباس رضوان، واقع مدار س التعليم العتيق بمنطقة تلمسان، مجلة الفكر المتوسطي، العدد 05 جوان 2013م. ص: 22.

[9] – السيد لزرق ميلود، السيد قني محمد رئيس مكتب التعليم الفرآني بمديرية ولاية عين تموشنت. لقاء خاص.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

– أ: رضا عباس، **واقع مدارس التعليم العتيق بمنطقة تلمسان**، مجلة الفكر المتوسطي، العدد: 05 جوان 2013م.

– **لقاء خاص** مع أستاذ التعليم القرآني لزرق ميلود من ولاية غليزان مقيم بولاية تموشنت، وسافر سنين طويلة مساجد الغرب الجزائري.

– **تجربة خاصة** للباحث في مدرسة الشيخ بوسعيد جبار رحمه الله ببلدية تيزي ولاية معسكر عام 1987م.

– أحاديث مختلفة مع بعض الطلبة المسافرين أثناء زيارة مكان إقامتهم بمسجد طلحة بن عبيد الله بولاية تموشنت.

– محمد بن أحمد ميارة الفاسي، **الدر الثمين شرح المورد المعين** (دار الحديث القاهرة، 2008م).

– **لقاء خاص** مع السيد قني محمد رئيس مكتب التعليم القرآني بمديرية ولاية عين تموشنت. 2019/02/19م، وهو ممن يضبط الرسم القرآني على عادة خيار الطلبة المسافرين بنصوصه الموروثة.

– **لقاء خاص** مع بعض الطلبة المسافرين سابقا منهم السيد قوبار بوسيف إمام مدرس بولاية عين تموشنت.

جميع الحقوق محفوظة